الحداثة في المنظور القرآني

Modernity from the Quranic Perspective

أ. د. فرمان إسماعيل إبراهيم

Prof. Dr Ferman Ismael Ibrhaim

ferman.i.ibrahim@tu.edu.iq

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد: فإنّ الله تعالى قد أكرم هذه الأمة بكتابه الكريم، وجعله نورا لها يهديها الى صراطه المستقيم، ولذلك توجهت اليه مطاعن المغرضين، وقصدته سهام الحاقدين، ومن هؤلاء مجموعة من المتبعين لخطى أعداء الدين، والذين عرفوا بالحداثيين، فأردت أن أكتب هذه الصفحات، في بيان موقف القرآن في ما ذكروه من الشبهات، وأسميت بحثي (الحداثة في المنظور القرآني) وقد جعلته في هذه المقدمة وتمهيد وخمسة مطالب وخاتمة ذكرت في التمهيد مفهوم الحداثة ، وجعلت المطلب الأول للحديث عن نزع القداسة عن القرآن ، وخصصت المطلب الثاني للكلام على العلمانية وكان المطلب الثالث لبيان العقلانية، وبينت في المطلب الرابع: التمرد على الماضي والتجرد عن الموروث وشرحت في المطلب الخامس معنى الغاء التفاسير القديمة وتفسير الكتب المقدسة على ضوء النظريات المادية، أما الخاتمة فكانت لبيان أهم النتائج. هذا وأسأل الله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصا لوجه الكريم، وأن ينفع به كاتبه وقارئه، إنه سميع مجيب الدعاء.

Introduction:

Praise be to Allah, the Lord of the Worlds, and peace and blessings be upon the Seal of the Prophets and Messengers, and upon his family and all his companions.

To proceed: Indeed, Allah Almighty has honored this nation with His noble book, making it a light that guides them to His straight path. Therefore, it has become the target of the critics' slanders and the arrows of the resentful. Among these are a group of followers of the enemies of religion, known as the modernists. I intended to write these pages to clarify the Quran's stance on the doubts they have raised, and I titled my research "Modernity from the Quranic Perspective." I organized it into this introduction, a prelude, five sections, and a conclusion.

In the prelude, I discussed the concept of modernity. The first section was dedicated to discussing the desacralization of the Quran. The second section focused on secularism. The third section elucidated rationalism. In the fourth section, I explained the rebellion against the past and the abandonment of heritage. The fifth section explored the concept of abolishing old interpretations and interpreting sacred texts in light of materialistic theories. The conclusion highlighted the key findings.

I ask Allah Almighty to make this work sincerely for His sake and to benefit its writer and reader. Indeed, He is All-Hearing and responsive to supplications.

الملخص

نعني بالحداثة الدعوة الى تفسير النصوص الدينية حسب النظريات الغربية، ونزع القداسة عن القرآن الكريم ومساواته بأقوال البشر، وعدم القبول به كمصدر للتشريع، وتفسيره بحسب الرأي دون الرجوع الى أدوات التفسير، بل وإلغاء التفاسير القديمة، والتمرد على الماضي والتجرد عن الثقافة الإسلامية، ومساواة القرآن الكريم بالكتب الدينية المحرفة، وإغفال قضية حفظ القرآن من التغيير والتبديل، وكونه يحث على العلم ولا يتعارض مع العقل السليم.

Abstract:

By modernity, we mean the call to interpret religious texts according to Western theories, to desacralize the Holy Quran and equate it with human sayings, to reject it as a source of legislation, and to interpret it based on opinion without resorting to traditional tools of interpretation. This also involves abolishing old interpretations, rebelling against the past, abandoning Islamic culture, equating the Holy Quran with distorted religious books, neglecting the issue of the Quran's preservation from change and alteration, and ignoring that it encourages knowledge and does not contradict sound reason.

تمهيد في بيان مفهوم الحداثة

أولا: الحداثة لغة

يقال: حَدَثَ حُدوثاً وحَداثَةً: نَقيضُ قَدُمَ، وحِدْثانُ الأَمْرِ، بالكسر: أَوَّلُهُ وابْتِداؤُه، كحَداثَتِهِ، ورجُلٌ حَدَثُ السِّنِّ وحَديثُها، بَيِّنُ الحَداثَةِ والحُدوثَةِ: فَتِيٌّ. والحَديثُ: الجديدُ،[١] ويقال لكلّ ما قرب عهده محدث، فعلا كان أو مقالا. قال تعالى: (حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً) [الكهف/ ٧٠][٢].

ثانيا: الحداثة اصطلاحا:

عرفت الحداثة بتعاريف عدة سأقتصر على بعضها تجنبا للإطالة، ولأن الباحثين قد اختلفوا اختلافا كبيرا في تعريفها، ومن هذه التعاريف ما يأتي:

١. عرفها عي حرب بقوله: «جهد يمارسه الفكر على نفسه لا يتوقف، وبناء متواصل للذات في علاقتها بذاتها، وانفتاح أقصى على الكون، وخلق مستمر للعالم»[٣]

٢. ويرى نايف العجلوني أنها: «حركة تفكيكية تستمد معناها وقُوَى دفعها من رفض أو نفي ما حدث قَبْلًا»[٤]

٣. وعرفها بعضهم بقوله»إن الحداثة عملية متكاملة؛ فهي اكتساب معرفة متقدمة، ورَفْعُ مستوى المهارات، واستيعاب التكنولوجيا المتطورة، وإنتاجيةٌ منافسة»[٥]

---

(١) ينظر الفيروز آبادي المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب القاموس المحيط (المتوفى: ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م (ص: ١٦٧)

(٢) الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب (المتوفى: ٥٠٢هـ) المفردات في غريب القرآن المؤلف: المحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ (ص: ٢٢٢)

(٣) علي حرب , أسئلة الحقيقة ورهانات الفكر: مقاربات نقدية وسجالية، دار مدارك للنشر ٢٠١٣ص٥٨،

(٤) «الحداثة والحداثية: المصطلح والمفهوم»، ص٤٧، مجلة: (أبحاث اليرموك)، ع٢، م١٤، س١٩٩٨

(٥) : علي أومليل , مواقف الفكر العربي من التغيرات الدولية: الديمقراطية والعولمة، منتدى الفكر العربي، سلسلة دراسات عربية، عمان الأردن، ١٩٩٨م. ، ص: ٢٣.

٤. تعرِّف «الموسوعة البريطانية» الحداثة بأنها: حركة ظهرت في أواخر القرن العشرين، تدعو إلى إعادة تفسير التعاليم الكاثوليكية التقليدية في ضوء النظريات التاريخية والفلسفية والنفسية، وتدعو إلى حرية الضمير، وترى أن العهدين (القديم والجديد) مقيَّدان بزمانهما، وأن هناك تطوراً في تاريخ الديانة الإنجيلية.(١)

٥. وعرفها الحارث فخري بأنها «محاولة صياغة نموذج للفِكر والحياة، يتجاوز الموروث، ويتحرَّر من قيوده؛ لِيُحَقِّق تقدُّم الإنسان ورُقِيَّه بعقله ومناهِجِه العَصْرية الغربية؛ لتطويع الكون لإرادته، واستخراج مُقدَّراته لخدمته»(٢)

٦. وعرفها محمد رشيد بقوله «محاولة الإنسان المعاصر رفض النَّمطِ الحضاري القائم، والنظامِ المعرفي الموروث، واستبدال نمطٍ - جديد مُعَلْمَن - تصوغه حصيلةٌ من المذاهب والفلسفات الأوروبية المادية الحديثة به على كافة الأصعدة؛ الفنية والأدبية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية...»(٣)

إذا عرفنا هذا فسأتحدث على أهم الركائز التي تستند اليها الحداثة في المطالب الآتية:

المطلب الأول: نزع القداسة عن القرآن

وهؤلاء لم يكلفوا انفسهم بالبحث في القرآن عن مقومات الحضارة التي جعلت أمة الإسلام تنفض غبار الجهل والهوان وتنطلق نحو المعالي بخطى ثابتة مسترشدة بهدي القرآن الكريم بل دعاهم جهلهم بدينهم وانبهارهم بحضارة الغرب الى اتباع منهاجهم والسير على طريقهم في القول ببشرية القرآن.

يقول نصر حامد أبو زيد «إن النص في حقيقته وجوهره منتج ثقافي، والمقصود بذلك أنه تشكل في الواقع والثقافة خلال فترة تزيد عن العشرين عاما»(٤)

---

(١) الموسوعة البريطانية\

(٢) د. الحارث فخري عيسى عبد الله , الحداثة وموقفها من السنة، مكتبة دار السلام ، القاهرة ، الإسكندرية ، ط ١ ، ١٤٣٤ هـ/ ٢٠١٢ م ، (ص ٣٣).

(٣) محمد رشيد ريان ,الحداثة والنص القرآني ، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، الأردن، ١٩٩٧م (ص ١٥

(٤) أبو زيد نصر حامد, نقد الخطاب الديني ط٢ دار سينا القاهرة ١٩٩٤. ص ٢٠٩

ومن هنا نجد نصر حامد أبو زيد يعلن في كتابه (مفهوم النص)، أن القرآن الكريم نص (بشري) ومنتج ثقافي ليس له قداسة، وليس نصاً ربانياً وإلهياً كما هو إجماع المسلمين عبر العصور، وأبو زيد هنا يقوم باجترار فِرية كفار قريش التي فندها القرآن الكريم في قوله تعالى: {وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى} [سبأ: ٤٣]، ويوافقه طائفة من الحداثيين على ذلك ومن هؤلاء حسن حنفي في كتابه "التراث والتجديد".(١).

ومثل ذلك القول بتاريخية النص القرآني الذي يعني ربطه بحدود الزمان والمكان الذي ظهر فيهما، وعده نتاجاً للأحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية (٢)

وقال هاشم صالح: لقد آن الأوان للكشف عن تاريخية النص القرآني وإنزاله من تعاليه الفوقي إلى الواقع الأرضي المحسوس، آن الآوان للكشف عن علاقته بظروف محددة تماما في شبه الجزيرة العربية وفي القرن السابع الميلادي(٣)

ولا يخفى خطورة مثل هذا الكلام وبثه في المجتمع الإسلامي من قبل أناس يدعون الإسلام لأن هذا الكلام مناقض لعقيدة الإسلام، فهو من عوامل الهدم والإفساد التي توعد الله تعالى فاعليها بقوله {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ} [النحل: ٨٨] ونصوص القرآن الكريم كثيرة في دحض هذه الفرية، والتأكيد على أنها لا تصدر إلا من الكفار ومنها {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا} [الفرقان: ٤] ورد عليهم القران الكريم في مواضع كثيرة منها {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} [النحل: ١٠٢]

والدلائل على ربانية القرآن الكريم لا يمكن تفصيلها في هذا المقام، وعليه فلا يمكن للنظريات التي طبقت على الكتب المحرفة التي قال الله تعالى {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ} [النساء: ٤٦] أن تطبق على القرآن الكريم الذي تحدى به المولى عز وجل الخلق كلهم منذ نزوله، جنهم وإنسهم فعجزوا أن يأتوا بسورة من مثله ا{وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [البقرة: ٢٣] وأكد هذا العجز بقوله {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ

(١) https://alghad.com اسامة شحادة المعاصرون واجترار افتراءات المشركين:

(٢) ينظر د. الحسن العباقي , القرآن الكريم والقراءة الحداثية دراسة تحليلية نقدية لإشكالية النص عند محمد أركون /. ص https://alhikmeh.org/yanabeemag/?p٤٨=.

(٣) هاشم صالح ,الإسلام والانغلاق اللاهوتي , دار رؤية للنشر والتوزيع. ٢٠١٠. (٢٤٨).

ظَهِيرًا} [الإسراء: ٨٨]

المطلب الثاني: العلمانية

الترجمة الصحيحة للعلمانية هي (اللادينية) أو (الدنيوية) لا بمعنى ما يقابل الأخروية فحسب، بل بمعنى أخص هو ما لا صلة له بالدين، أو ما كانت علاقته بالدين علاقة تضاد.(١)

وحين أطلقت هذه التسمية في أوربا كان يُقْصَد بها عندهم حسب ترجمتها الصحيحة: فصلُ الدين عن السياسة، أو الفصل الكامل بينه وبين الحياة الاجتماعية، على أساس أنه لا يجتمع العلم مع الدين بزعمهم، وقد كذبوا في ذلك وقلبوا الحقيقة، فإن الدين والعلم حميمان يكمل أحدهما الآخر ويقويه، أما نسبتهم مذهبهم إلى العلم, فإن الحقيقة تدل على أنه لا علاقة بين العلم وبين هذه الفكرة الضالّة، بل إن تسميتها علمانية إنما هو بسب سوء الترجمة من معناها الغربيّ الذي هو الابتعاد عن الدين، أو من باب الخداع والتضليل؛ إذ كان الأولى أن تكون ترجمتها وتسميتها أيضًا هي «اللادينية»؛ لأن مفهومها الأصليّ هو هذا, وليس نسبة إلى العلم.(٢)

وسبب ذلك ان الأوربيين قد عانوا من اضطهاد رجال الدين للعلماء ومحاربتهم لكل ما يخالف تعاليم الأناجيل المحرفة فحصل التناحر بين رجال العلم ورجال الدين بسب التعارض بين الحقائق العلمية والنصوص الدينية، زيادة على ما واجهته الشعوب من حرمان واضطهاد من قبل رجال الكنيسة «فأصبح الناس يفكرون في مخرج لهم من سلطان الكنيسة وطغيانها، فاختاروا التمرد على تعاليم الدين ، وعزله عن شؤون الحياة من النواحي السياسية والاقتصادية، والأخلاقية، وغيرها(٣). مما أدى الى «عزل الدين النصراني المحرف - الذي حارب العلم- عن الحياة، وحصره في داخل الكنيسة وإبعاد رجالها عن التحكم الظالم».(٤)

أمَّا الإسلام فإنه من أشدّ أصدقاء العلم، ولهذا سار العلم والدين في اتجاه واحد هو إثبات عظمة الله -عز وجل- وخلقه لهذا الكون وما فيه, ووجوب التفكر فيه, والاستفادة من كل تجربة يمر بها

---

(١) ينظر سفر بن عبد الرحمن الحوالي العِلمانيَّة - نشأتهَا وتطوّرهَا وآثارُهَا في الحيَاة الإسلاميَّة المُعَاصِرَة.
المؤلف: أصل الكتاب: رسالة دكتوراه للمؤلف - الناشر: دار الهجرة :٢١

(٢) : د. غالب بن علي عواجي المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها المؤلف - الناشر: المكتبة العصرية الذهبية-جدة الطبعة: الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م (٢/ ٦٨١)

(٣) ينظر الشحود علي بن نايف موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة (١٢/ ١٧١)

(٤) المصدر نفسه (١٤/ ١٦٢)

الإنسان [١] ولهذا كانت أول الآيات نزولا (ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥) [العلق: ١-٥] فكيف يمكن أن نقيس دين الإسلام على غيره من الأديان المحرفة.

المطلب الثالث العقلانية

العقلانية من المذاهب الفكرية التي يرى أصحابها إمكانية التوصل الى فهم طبيعة الوجود والكون بواسطة العقل دون الرجوع إلى التجربة البشرية أو الوحي الإلهي ، وكذلك يرى إخضاع كل شيء في الوجود للعقل لإثباته أو نفيه أو تحديد خصائصه.[٢]

فالحداثة وضعية اجتماعية وحضارية تجعل من العقل والعقلانية المبدأ الأساسي الذي يعتمد في مجال الحياة الشخصية والاجتماعية. وهذا يقتضي وجود حالة رفض لجميع العقائد والتصورات وأشكال التنظيم الاجتماعي التي لا تستند إلى أسس عقلية أو علمية[٣]

وهذا يعني أنه يجب علينا في البداية وفي الجوهر أن نطهر ساحة الفكر العربي من الأوهام والغيبيات والخرافات التي تعطل العقل وتبدد كل إمكانيات التطور والإبداع الإنساني وتدفع بالإنسان إلى دوائر العطالة والجمود[٤]

والذي يقرأ نصوص القرآن الكريم يدرك أنه كان يدعو الى استخدام العقل من أجل الوصول الى الحقائق الصحيحة ، من خلال الآيات الكثيرة التي تحث على التفكر والتدبر كقوله تعالى) وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ([الرعد: ٤] بل إن القرآن الكريم يغلظ على هؤلاء الذين يعطّلون عقولهم، ويعرضون عن الحق بسبب عدم استعدادهم لمجرد سماعه أو التفكير فيه، بسبب اصرارهم على التمسك بما هم عليه من الباطل، فيجعلهم بمنزلة الأنعام التي لا عقل لها، قال تعالى (أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا) [الفرقان: ٤٤] وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مكانة العقل

---

(١) يتظر د. غالب بن علي عواجي , المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها , الناشر: المكتبة العصرية الذهبية-جدة الطبعة: الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م. (٢/ ١١٤٧-١١٤٨)

(٢) ينظر http://www.saaid.net/feraq/mthahb/90.htm

(٣) ينظر: علي أسعد وطفة مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة https://watfa.net/archives/5372

(٤) المصدر نقسه

الكبيرة في الإسلام.

لكننا نرى أن القرآن الكريم يوجه الإنسان الى الاستخدام الصيح للعقل فهو يدعوه الى النظر في المخلوقات للوصول الى معرفة الخالق، قال تعالى (إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ) [آل عمران: ١٩٠] فالذي يرى بدائع المخلوقات وما في هذا النظام الكوني من إتقان متناه يصل الى قناعة تامة أنه لا يمكن لهذا الكون أن يوجد صدفة، وإنما لابد له من خالق عظيم خلقه وأبدعه، بل إن خلق الإنسان نفسه يحتاج الى مزيد من النظر والتأمل لندرك من خلاله عظمة الخالق سبحانه وتعالى(وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) [الذاريات: ٢١] زيادة على المخلوقات الأخرى التي تحيط بالإنسان قال تعالى (أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ) [الغاشية: ١٧-٢٠] والقرآن الكريم يحذر الإنسان من استخدام العقل في غير ما وضع له فيتوهم الإنسان أن بإمكانه أن يدرك كل شيء بعقله مما يؤدي به الى التمرد على خالقه وإنكار البعث وتكذيب الرسل، قال تعالى (إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ١٨ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ٢٢ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ٢٣ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ٢٤ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ) [المدثر: ١٨-٢٥].

وبناء على ما تقدم فإن الإسلام يشجع الإنسان على التقدم والرقي في الجانب المادي من خلال التأكيد على أن الله تعالى قد سخر له ما في السموات والأرض (ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٢ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ١٣) [الجاثية: ١٢-١٣] وهذا يعني أن الإنسان بإمكانه الإفادة من كل ما هو نافع في هذا الكون بشرط أن يجتنب الأمور التي ورد النص بتحريمها (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ) [الأعراف: ٣٢].

ومن خلال ما تقدم يتضح أن هؤلاء الذين يريدون تطبيق العقلانية في المجتمعات الإسلامية لم يكلفوا أنفسهم بدراسة الإسلام ومعرفة الفرق بينه وبين الديانات الأخرى ، وجعلوا عقولهم القاصرة حاكمة على كل شيء، وهذا ينافي الواقع لأن العقل الإنساني لا زال عاجزا عن الوصول الى معرفة كثير من الظواهر المادية(وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) [الإسراء: ٨٥] واذا كان كذلك فعجزه عن إدراك الأمور الغيبية من باب أولى (يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْأَخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ) [الروم: ٧] فالإيمان بالغيب في الإسلام من القضايا الإيجابية المهمة في حياة المسلم، فالذي يعلم أن هناك ربا يراه (وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٢١٧ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ

تَقُومُ ٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ) [الشعراء: ٢١٧-٢١٩] يعلم ما يخفي وما يعلن (يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ) [غافر: ١٩] ويحصي له أعماله كلها خيرها وشرها قال تعالى (وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ) [الأنبياء: ٤٧] وأن الله تعالى سيبعثه بعد الموت (وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا) [الكهف: ٤٧] فيحاسبه على أعماله كلها (لِيَجۡزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ) [إبراهيم: ٥١] فإن هذا الأمر يدفعه إلى أن يكون عنصرا بنّاء في المجتمع الذي يعيش فيه، فيقوم بواجباته ويحسن الى الناس ولا يعتدي على الآخرين، فيسود الأمن وتقل الجرائم، وينعم الناس بالأخوة ا، والعيش الكريم في ظل المجتمع الإسلامي.

وبهذا يتضح أن هؤلاء الذين يتحدثون عن العقلانية يجعلون الإسلام الذي يحترم العقل الإنساني ويتفق مع الاستنتاجات العقلية السليمة والحقائق العلمية الصحيحة بمنزلة الديانات المحرفة التي غرقت في الأوهام والخرافات المخالفة للعقل والعلم والتي كانت عائقا عن تقدم البشرية ورقيها.

المطلب الرابع: التمرد على الماضي والتجرد عن الموروث

وشعار التمرد على الماضي والتجرد عن الموروث يعنون به هو الغاء القيم الإسلامية التي وردت في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهذا كما هو واضح الغاء الدين وابعاده عن حياة الإنسان باعتباره حائلا بين الأمة وبين التقدم المنشود، وهذه محاولة لنقل الصراع الذي حدث بين العلم والكنيسة الذي سبق الكلام عنه في المجتمع الغربي الى الساحة الإسلامية و القرآن الكريم تكفل الله تعالى بحفظه، فقال(إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ) [الحجر: ٩]. ومن هذا المنطلق فإنّ القرآن الكريم هو كلام الله تعالى الذي (لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ) [فصلت: ٤٢] ولا يمكن لأي مسلم أن يشك في ذلك لأن هذا الأمر من المُسَلّمات التي لا يمكن أن يتطرق اليها شك لأنّ مثل ذلك يخرج المرء من الإسلام، بل إنّ التمسك بقيم القرآن الكريم والسنة هو الطريق الى التقدم والرقي في الجانب المادي والروحي (إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا) [الإسراء: ٩] فلا توجد آية واحدة في القرآن الكريم يمكن أن تكون حجة لهؤلاء على أن التمسك بالقرآن والسنة يحول بين الإنسان والحضارة، بل إن إبعاد القرآن الكريم عن الحياة يسبب خسارة كبيرة للبشرية لأنّ العالم سيغرق في الماديات والشهوات ويفقد انسانيته التي تميزه عن بقية المخلوقات، وهذا ما نراه اليوم في عالمنا المعاصر الذي تقدم تقدما كبيرا في الجانب

المادي لكنه أفلس إفلاسا منقطع النظير في الجانب الأخلاقي والروحي .

ومن هذا المنطلق يجب التفريق بين دين الإسلام المتمثل بالكتاب والسنة فهذا لا يجوز المساس به ، وبين البدع والخرافات التي تخالف العقل والنقل التي ينظر اليها كثير من الجهلة على أنها جزء من الدين، فهذه ينبغي محاربتها لأنها مخالف للقرآن والسنة قال تعالى (أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ) [الشورى: ٢١] وقال صلى الله عليه وسلم«(مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ)»[١]

فعلى المسلمين اليوم أن يجردوا دينهم مما علق به من الأوهام ويعرضوا معتقداتهم وسلوكهم على كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فما وافقهما أخذوه وما خالفهما نبذوه هذا من جهة، ومن جهة أخرى ينبغي عليهم أن يحذروا هذه الدعوات المشبوهة التي تريد استدراجهم تحت شعارات براقة تخفى وراءها نوايا شريرة تهدف الى سلخ المسلمين عن دينهم، بإيهامهم أنّ تقدمهم مرهون بترك دينهم وتقليدهم الأعمى لدعاة الحداثة وغيرها من الدعوات المسمومة.

المطلب الخامس: الغاء التفاسير القديمة وتفسير الكتب المقدسة على ضوء النظريات المادية

من المعلوم أن علماء الإسلام قد تحدثوا عن ضوابط التفسير، وفق رؤية علمية دقيقة، مستندة الى الأدلة الشرعية لا الى الأهواء والرغبات ومن ذلك ما ذكره العلماء بقولهم:إن أَحْسَنُ طَرِيقِ التَّفْسِيرِ أَنْ يُفَسَّرَ الْقُرْآنُ بِالْقُرْآنِ فَمَا أُجْمِلَ فِي مَكَانٍ فَقَدْ فُصِّلَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ وَمَا اخْتُصِرَ فِي مَكَانٍ فَإِنَّهُ قَدْ بُسِطَ فِي آخَرَ فَإِنْ أَعْيَاكَ ذَلِكَ فَعَلَيْكَ بِالسُّنَّةِ فَإِنَّهَا شَارِحَةٌ لِلْقُرْآنِ وَمُوَضِّحَةٌ له قال تعالى: (وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [النحل: ٦٤] فَإِنْ لَمْ يُوجَدْ فِي السُّنَّةِ يُرْجَعْ إِلَى أَقْوَالِ الصَّحَابَةِ والتابعين فإن لم يوجد يُرْجَعْ إِلَى النظر والاستنباط. الى غير ذلك من الشروط التي لامجال لذكرها[٢] . ولا يخفى أن المفسر ينبغي له أن يراعي الشروط التي ذكرها هؤلاء العلماء، لكن هذا لا يعني أن المتقدمين قد أحاطوا بمعاني كتاب الله تعلى كلها، لأن ذلك أمر غير مستطاع للبشر، وبناء على ذلك فلا مانع من ظهور بعض

---

(١) البخاري «صحيح البخاري» كتاب الصلح- باب إِذَا اصْطَلَحُوا عَلَى صُلْحِ جَوْرٍ فَالصُّلْحُ مَرْدُودٌ (٢/ ٩٥٩ تحقيق البغا): رقم(٢٥٥٠) وصيح مسلم –كتاب الأقضية –باب-بَاب نَقْضِ الْأَحْكَامِ الْبَاطِلَةِ وَرَدِّ مُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ (٣/ ١٣٤٣ ت عبد الباقي): رقم (١٧١٨)

(٢) ينظر الزركشي أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) , البرهان في علوم القرآن البرهان في علوم القرآن المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم [ت ١٤٠١ هـ] الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه . (٢/ ١٧٦):

التفاسير الحديثة للقرآن الكريم التي تراعي ضوابط التفسير بل إن النظر في القرآن الكريم واستنباط أحكام جديدة هو من الأمور المطلوبة وهو من التدبر الذي حث عليه القرآن الكريم (كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ) [ص: ٢٩] وهو ايضا وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم المتجددة (سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ) [فصلت: ٥٣] لكن هذه التفاسير ينبغي أن تكون وفق اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم، وليس وفق النظريات الغربية، (إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ) [يوسف: ٢] .

والملاحظ أنّ الحداثيين لا يريدون الإفادة من تفسير سلف هذه الأمة لأنهم يرفضون كل الضوابط التي تمنعهم من تفسير القرآن حسب أهوائهم، معتمدين على الرؤية الغربية لتفسير النصوص الدينية، وهذه الرؤية في حقيقتها تؤدي الى هدم الدين الإسلامي.

يقول جمال البنا» لا بدَّ أن نستبعد الالتزام بالتفاسير؛ إذ لا فائدة فيها، ونقرأ القرآن مباشرة»[١] ويقول عبد المجيد الشرفي «لو أبعدنا -وهذا مجرد افتراض- هذه النصوص الثواني وهذه السُّنة التأويلية، فإننا إذ ذاك نتعامل مباشرة مع النصّ القرآني بطريقة مختلفة عن هذه التأويلات التاريخية، فما نقوله بالنسبة للنص المقدس، وتعامل المسلمين معه، لا يختلف اختلافًا نوعيًّا مع حكم التقليد في المسيحية»[٢]

وأنت ترى أن مثل هذا الكلام هو نوع من أنواع تحريف القرآن الكريم، لأن تحريف المعاني هو من الحيل التي يستخدمها هؤلاء لإخفاء مقاصدهم الخبيثة بعزل القرآن الكريم عن حياة المجتمع المسلم وإنكار حجيته باعتباره المصدر الأول للتشريع، وهو الذي ترجع اليه الأمة عند الأختلاف (وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ) [الشورى: ١٠] . فكيف يكون القرآن الكريم حجة ومرجعا للأمة عند الاختلاف إذا فسره كل واحد من هؤلاء على هواه.

---

(١) ينظر أركون محمد «نحو قراءة جديدة للقرآن في ظلّ التحديات المعاصرة»، حوار أجرته معه صباح البغدادي، ص١٠٨، مجلة: (رؤى)، ع٢٣، ٢٤، س٢٠٠٤، تصدُر عن مركز الدراسات الحضارية بباريس.

(٢) ينظر الشرفي عبد المجيد , تحديث الفكر الإسلامي , دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٩م.»، ص١٣

الخاتمة وسأبين فيها أهم النتائج

١. إن الحداثة صنيعة غربية كانت نتيجة لوجود نصوص في كتب اليهود والنصارى مخالفة للعقل والعلم، فكانت الحداثة إحدى الحلول للتخلص من هذه مشكلة بتفسير هذه النصوص على وجه مقبول.

٢. إن هؤلاء الذين يفسرون القرآن الكريم على وفق نظرية الحداثة يعتقدون بعدم صلاحيته لعصرنا هذا وعليه يجب تأويل نصوصه وصرفها عن ظاهرها لتواكب التطور والتقدم التي يعيشها العالم اليوم.

٣. إن هؤلاء يجهلون أو يتجاهلون أن القرآن الكريم المحفوظ من التغيير والتبدليل يختلف عن غيره من الكتب المحرفة التي دخلت اليها الخرافات والأوهام المناقضة للعقل، والتي أثبت العلم بطلانها.

٤. إن دعوة الحداثيين لإلغاء التفاسير القديمة ورفض الالتزام بتفسير القرآن على وفق الشروط التي وضعها العلماء للمفسر يهدفون من ورائه الى الغاء أحكام القرآن وقطع الصلة بين ماضي الأمة وحاضرها.

٥. يزعم هؤلاء أن ما يقومون به من إبعاد المسلمين عن القرآن سيكون من عوامل نهضة الأمة، والواقع أن الآمة لايمكن لها أن تنهض إلا اذا رجعت الى القرآن الكريم.

والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

١. https://alghad.com اسامة شحادة المعاصرون واجترار افتراءات المشركين: .
٢. أبو زيد نصر حامد, نقد الخطاب الديني ط٢ دار سينا القاهرة ١٩٩٤.
٣. أركون محمد نحو قراءة جديدة للقرآن في ظلّ التحديات المعاصرة»، حوار أجرته معه صباح البغدادي، ص١٠٨، مجلة: (رؤى)، ع٢٣، ٢٤، س٢٠٠٤، تصدُر عن مركز الدراسات الحضارية بباريس.
٤. الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب (المتوفى: ٥٠٢هـ) , المفردات في غريب القرآن ,المحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.
٥. البخاري صحيح البخاري المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت٢٥٦هـ) المحقق: د. مصطفى ديب البغا الناشر: (دار ابن كثير، دار اليمامة) – دمشق الطبعة: الخامسة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣.
٦. الحوالي سفر بن عبد الرحمن , العِلمانيَّة - نشأتهَا وتطوّرهَا وآثارُهَا في الحيَاة الإسلاميَّة المُعَاصِرَة أصل الكتاب: رسالة دكتوراه للمؤلف الناشر: دار الهجرة .
٧. د. الحارث فخري عيسى عبد الله , الحداثة وموقفها من السنة، مكتبة دار السلام ، القاهرة ، الإسكندرية ، ط ١ ، ١٤٣٤ هـ / ٢٠١٢ م .
٨. د. الحسن العباقي , القرآن الكريم والقراءة الحداثية دراسة تحليلية نقدية لإشكالية النص عند محمد أركون /. https://alhikmeh.org/yanabeemag/?p.
٩. د. غالب بن علي عواجي , المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها , الناشر: المكتبة العصرية الذهبية-جدة الطبعة: الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
١٠. الزركشي أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) , البرهان في علوم القرآن البرهان في علوم القرآن المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم [ت ١٤٠١ هـ] الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه .

١١. الشحود علي بن نايف موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة.
١٢. الشرفي عبد المجيد , تحديث الفكر الإسلامي , دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٩م.
١٣. العجلوني نايف ، الحداثة والحداثية: المصطلح والمفهوم» ، مجلة: (أبحاث اليرموك)، ع٢، م١٤، س١٩٩٨.
١٤. علي أسعد وطفة , مقاربات في مفهومي الحداثة وما بعد الحداثة /https://watfa.net/archives/٥٣٧٢.
١٥. علي أومليل , مواقف الفكر العربي من التغيرات الدولية: الديمقراطية والعولمة، منتدى الفكر العربي، سلسلة دراسات عربية، عمان الأردن، ١٩٩٨م.
١٦. علي حرب , أسئلة الحقيقة ورهانات الفكر: مقاربات نقدية وسجالية، دار مدارك للنشر ٢٠١٣.
١٧. الفيروزآبادى مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (المتوفى: ٨١٧هـ) , القاموس المحيط تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م,
١٨. محمد رشيد ريان ,الحداثة والنص القرآني ، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، الأردن، ١٩٩٧م .
١٩. مسلم صحيح مسلم المؤلف: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ - ٢٦١ هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة (ثم صورته دار إحياء التراث العربي ببيروت، وغيرها) عام النشر: ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.
٢٠. هاشم صالح ,الإسلام والانغلاق اللاهوتي , دار رؤية للنشر والتوزيع. ٢٠١٠.